

## حرمة البيان

للأستاذ عبد المنعم خلاف

لو كان الأدباء «إلهيين» يقدمون لله الأزهار التي يقتطفونها بأقلامهم من حديثه قبل أن يقدموها للناس ، لحسبوا للحق والشرف والجمال الأصيل أكبر حساب ، ولاستحيوا أن يقدموا لعين الله النافذة العالمة كلاماً باطلاً أو دنيئاً أو زائفاً ... ولكن كثيراً منهم رضوا بأن يكونوا «وثنيين» ينحتون من الألفاظ أسناماً يزوقونها ويصرفون الانسانية بها عن وجه الله في بعض الأحيان ...

فهم يقدمون أزهارهم للأعين الكليّة البليدة مُنفلين «الفنان الأعظم» الذي يجب أن يرفع إليه كل عمل جميل شريف حتى يوقع عليه بطابه ...

ما هو الجمال؟ ما هو الحق؟ ما هو الشرف؟ لولا الله ...  
كل المعايير والوازين ساقطة باطلة ببليّة إذا لم تكن في يده هو!

كل الصدق كذب ... وكل الخير شر ... وكل الحق باطل  
إذا لم يقله لنا هو!

\*\*\*

ما الفرق بين صانع الكلام وصانع الأحذية إذا كان مدار الكلام هو الخبز ... أو إرضاء جمهور الحرقاء أو الشهرة الجائفة التي لا تشبع أبداً؟

إن أقرأ بعض صحف الكلام فأشعر أنها من حقايرها وذلتها -  
كأنتم ... وكأنتم البالية القذرة لكثرة ما فيها من خروق عقل صاحبها أو خروق خلقه ...

إن حاسة البيان جانب مقدس لأنها خاصة الانسان المترجم عن الإلهية ، فيجب أن يكون فيها ذلك السيل الخلق في الأصوات أو في المطور

وإن في حديقة الله أعجيب وتهاويل وحقائق كبيرة لا يسمع

لم أشم شيئاً فلا عمل لاعتذاركم. ومضيت عنهم، وكان هذا درساً نافماً لهم ولو أنى عاقبت أحداً لما أثمر العقاب إلا رضام عن نفوسهم لأنهم استطاعوا أن ينصموا على ، وأن ينجح من عندهم الطيبى في مثل سنهم

وفي آخر سنة من اشتغالي بالتدريس توليت أمر مدرسة ثانوية فقلت للأساتذة: إنى ألقيت المقويات جيماً فلا حبس ولا عيش حاف ولا شيء مما اعتاد المعلمون أن يماقبوا به التلاميذ . ونظرتي هي أن المدرس الذي يحتاج إلى معاقبة تلميذه لا يصلح لهذه المهنة وخبر له أن يشتغل بغيرها ، وأن العلاقة بين المعلم وتلميذه ينبغي أن تقوم على المودة والاحترام ، وأن يكون أكبر وأقوى عامل فيها هو شعور التلميذ بأن المدرس والده يبنى له الخير ويخدمه ويفتح له نفسه ويقوى مداركه وشمى استمداده ، وأنه لا يلزمه بدرس ولا يفرض عليه شيئاً بل يرضيه في الدرس ويحبب إليه التحصيل . وعلى هذا فليس لأحد من المعلمين أن ينتظر منى أى معوة على ضبط النظام، وقد كان . قضينا في هذه المدرسة سنة كاملة لم يشمر فيها التلاميذ بسلطان أو سطوة، وإنما شمروا أنهم أبناء لنا وأتينا إخوان كبار لهم وأصدقاء نافعون ولم أكتف بهذا بل ألقيت «الجرس» الذي يدق إيداننا بابتداء الدرس أو انتهائه لأنى لم أر حاجة إليه بعد أن أصبح التلاميذ يحرصون على الحضور والمواطبة من تلقاء أنفسهم ويدافعون عنهم للمدرسة ورضيتهم في الوجود بها مع إخوانهم المدرسين حتى لقد كان الواحد منهم يمرض فيحضر ، وبهنا استثنيت أيضاً عن الدفاتر الكثيرة التي تستعمل في المدارس والتي تحتاج إلى موظفين كثيرين لا داعي لهم . وقد كنت أحب أن أظل في هذه المدرسة لأرى نتيجة التجربة، ولكن الحركة الوطنية بدأت في صيف ذلك العام وجرفتنا جيماً تيارها الزاخر فهجرت التعليم إلى الصحافة . ولو عدت إليه الآن لكان من المحقق أن أخفق فقد اختلف الحال جداً وانقلبت الأوضاع .

إبراهيم عبد القادر المازني

الفنان ؛ أما القشور فلا يطلبها فنان ذو افتتان بالحقائق الكبيرة التي تتطلب من راصدها عشقاً لها وحدها وأمانة لقوانينها وفضائلها هنالك أدب كموسيقى « الجازبند » يغير في النفس أطييش ما فيها وأخفه وأحمقه ، ولا يدخل عليها محسولاً من شعور نبيل أو فكرة كريمة ، ولا يلفتها إلى شيء مخبوء ، ولا يفتح لها باباً منلقاً ... هو تماماً كتلك الموسيقى المجنونة البربرية التي تحمل على طيش الجسد ورقصه وشجة شهواته وحمقاته . قد يكون فيه براعة لفظية وخفة يد أو لسان ... ولكنها كبراعة « الحاوي » وخفته ... لا تملك على اعتقاد بأن صاحبها خالق أو جاد يقصد لباب الحياة ...

ومنذ أن قال امرؤ القيس أقواله الفاحشة في المرأة ، ونظم الفرزدق وجبرير الشتائم والسباب ، وقال أبو نواس وبشار وأضرابهما في معاني الشذوذ والضعف الخلق ، وامتلأ المصر العباسي الثاني بالفن في تسجيل الصور الدنيئة من حياة الانسان كما يتمثل في بئيمة الدهر ( قاموس الأدب الداعي الوقح ١ ) - منذ ذلك كله تحول ذوو الطبائع الجادة وعشاق الحكمة والشغولون بالحق والجمال الأصيل إلى وجهات أخرى في الحياة غير وجهة الأدب والاشتغال بمحصوله

\*\*\*

لماذا يتكلم الناس ؟ للإيابة عما في نفوسهم ؟ أم لإخفاء ما فيها كما يقول « تاليران » الخطيب الفرنسي المشهور ؟ أما مع تاليران كما دلتني موافق كثيرة كنت أقرأ فيها على الوجوه وأشعة السيون غير ما يقول اللسان ... وقد قرر عمر بن الخطاب أن مع التفاسح النفاق حين حبس الأحنف بن قيس مدة لا رأى من فصاحته ولسنه نخس أن يكون وراءها نفاق ، ثم تبين له شذوذ القاعدة في الأحنف فأطلقه . وقد دلتني على ذلك أيضاً ألعيب صناع الكلام والمفتونين فيه الذين يكفرون بالحق لأجل كلمة ، ويمترون بماير الطبيعة لأجل قافية ، ويخسرون صداقة الفضيلة لأجل سجة أو نكتة !

ولو كنت ذا وصاية عامة على تهذيب الناشئين لكانت مهتمتي تلخص في ترتيبهم على الاقتصاد في الكلام ما وسع الصمت

إلا للأقلام النظيفة بالقرب منها ورصدها وتقريرها لدى النظر الفاصر من الانسانية المادية الماملة التي ليس لها وقت للوقوف عند كل شيء ومخادته وأخذه في النفس بالتأمل والدرس إن في الأدب صوفية وكذلك في الفن على العموم ، والصوفية نظافة وإدراك مرهف ودوران حول النفس والطبيعة وحساب دقيق للنسب بين الموجودات ثم نظرة دأمة إلى الفنان الأعظم !

فتي يدرك الأدباء أن هذا أساس البيان وأن مقاييس الشرف الأدبي تسقط الأدب الكاذب أو الداعر أو الزائف أو الجاهل بهذه الحقائق ولو ساقوا ألف دليل ودليل على أن مهمة الأدب تسجيل كل ما في الحياة ولو كان فحشاً أو نكراً ؟

إني أتره حرمة البيان أن أسخره في شيء نافه أو دنس حتى لا أصرف عنه عيون عشاق الحكمة الشرفاء الذين إليهم وحدم يجب أن يرفع الكلام ويوجه الأثر الفني ... وحتى لا أفتدى به عيون النساء والناشئين الذين يجب أن نصونهم عن القبح والزيف ؛ والطفولة والشباب هما موضع آمال الإصلاح وقوالب المثل العليا التي فانتا أن نحققتها في أشخاصنا ، والنساء هن مستودع تلك القوالب ...

أما أريد وأتمنى أن يكون الأدب واحة في صحراء الحياة المادية بجانب واحة الدين ، لتفر إليها النفس التهالكة المحتقة من شجة الآلات ومادية الميئس والارتفاق . وإن في الأدب سوراً تلس فيها ذكاء وعبقورية صنع ، ولكنها لا تحرك في نفسك ذلك الاحساس للميق بالحياة ، ولا تثير في قلبك ذلك الدم النادر الذي لا يتور إلا في عبادة خالصة أو في فرح مقدس أو ألم مقدس . وهناك أدب يشمرك بذلك المعنى السامي الذي يؤكد لك الاحساس به أنك أعظم من جسدك الحيواني ... وأنتك أوسع من تلك الكتلة العجمية المحدودة ... وأنتك أخف من ذلك الجرم الترابي الكثيف المربوط بالأرض ... وأنتك باستمرار محوط بأسرار وقوى تخاطبك وتجادبك ... ولكنك لا تسمع ولا تحس إلا إذا فتحت سمك كلمة منبهة من قلم نظيف حماس ...

جوهر النفس والطبيعة ينبئ أن يكون هو وحده مطلوب

وآذان القلوب تسمعها ، فلا حاجة بها بمد ذلك إلى إعلان أو إلحاح ولحاجة .

وكم يحملني شخص لم يكتب إلا كلمة أو لم يخاطب إلا مرة واحدة على احترامه وتقدير ما عنده لأنني عرفت نفسه وجوهه فكره وقلبه .

وكم يحملني آخر من « محترفي صناعة الكلام » على احتقاره وازدراء ما عنده ولو غلبت نفسه بألف رداء من التظرف أو التوقر أو البراعة في اللعب بالألفاظ ... جوهر النفس أشع وأوضح من أن يخفى .. فليعرف ذلك الخادعون للناس والمخدوعون في أنفسهم المرورون بالألفاظ ، السيئو الظن بقول الناس وذاكرتهم وتأويل صمتهم ...

\*\*\*

الأميون بالألفاظ أيها الأدباء ... أم مؤمنون بالخير والجمال الأصيل ؟

أرضيون أنتم تترجمون عن حياة حيوانية ... أم متعلقون بما فوق ... ؟

أأذكيا أنتم تمرضون فصاحتكم وشققتم واختلاج ألسنتكم وأفلامكم ... أم لكم قلوب تشيرون بها وحدها إلى الحقائق الكبيرة في الحياة ؟

أمصرون على التلوي بالأصناف والقواقع والقشور ... أم ساعون جاهدون إلى إدراك الجوهر واللب ؟

أأوابد مفرقة متهاة ... أم جنود في كتبية واحدة لثاية واحدة ؟ إنكم بالأوضاع الأولى عترفون للتميش والكسب ...

وبالأوضاع الأخرى أصحاب رسالة ... إنكم بالأولى ترنون أن تبسوا أفلامكم وتمشوا من غير عقيدة وهدف وتؤجروا كما تؤجر -

النوادر أو القيان للوقوف في المآتم والأعراس بدون قلوب ولا دموع ولا ابتسام ولا ابتهاج ...

وإنكم بالأخرى تفرضون محتمكم على أمراض العقول وتصحيحكم على أغلاط الناس وتسيرون في الناس كالراعي في القطيع وكالآباء في الأسرة ...

بالضبيعة الانسانية إذا ما سخرت جهاتها جلوسها وآمانها

وعلى التفكير فيه وحديث النفس به قبل إعلانه على تلك الآلة الصغيرة الخطرة : اللسان أو القلم !

التفكير التفكير ، وارتياح طريق الكلمة قبل تسجيلها بالصوت أو المداد ، وبمث الكشافة من شعور النفس وفروض السامعين أو القارئ ، والانيان بجديد إن كان المقصود بالبيان هو « الأثر الفني » وترك الآمار مدة حتى تختمر وترجع النفس وافية وتقر الأخلاط الثائرة وتذهب فتنة ابتداء القول والاعجاب به كما يقول الجاحظ ، وكما أشار الهاد الأسفهانى إلى طبيعة الاحساس بالنفس في الأثر البياني من صانته بمد مرور حين من الزمان ...

\*\*\*

لا يبنى الشاعر التأمل أن يتكلم بقدر ما يمينه أن يتأمل ! وإن لذة الخلوص إلى النفس ، والشعر النفسى الذى ترسله الروح بجورا لا قيود لها ولا تكلف ولا كذب ولا ألفاظ بها وقراءة آثار الغير وقراءة الدنيا بدل الاملاء عليها ... ليست أقل من لذة الكلام وإظهار ما في النفس ، إن لم تفقها بأضعاف ! بل إن الثانية يصحبها ألم تقييد المطلق وتحديد اللانهاى وتضييق الراسع وضغط الماني في قوالها وطمس جمالها بالألفاظ المأجزة وأنا شخصياً لا أجد في نفسى نشوة حين أقول بقدر النشوة التى أجدها حين أفهم ما يقال من الآمار الجلية

والإلحاح في طلب الشهرة من طريق تنابح الآمار الأدبية الخفيفة الوزن والموصول هو عيب أكثر أدباء الشباب . فلو عرف كل أديب أن لعله أن يصمت حيث لا جديد عنده يضيف إلى ميراث الأدب سطرًا قبا ، لاستراح هو من النقد واستراح القارىء من تكرير المعاد المكرور « ومت بداء الصمت خير لك من فاء الكلام »

والإلحاح في طلب الشهرة بنبيء عن « مركب نقص » دخيل يحسه صاحبه ويريد أن يقطيه عند نفسه أولا وعند الناس ثانيا .

وما يعظم العظم حتى يتوارى عن أعين الناقصين إشفاقا عليهم من آلام الحسد والنقد . وإذا اكتملت معاني الثقة والمظنة في نفس عاشت منها في ضجة يحيل إليها معها أن بصيرة الناس تحسها

مخبوءة مضمون بها على أكثر العيون والأسماع ... تقول لها  
وتقول لنا ، ونلازمها وتلازمنا متفاهمين ليس بيننا غل ولا شحنا .  
ترينا من عجائبها وتلبسنا مما عندها مناظير وأثواباً ... وتضي لنا  
بمصاييح ... وتعرفنا إلى جهات مجهولة ، وتقذف بنا إلى كل ماء  
بميد ... وتقول للعالم المستورة : هذا قارع لبابك طويلاً  
فافتحي له وخذيه ....

\*\*\*

وأعود فأكرر : إن في حديقة الله أعاجيب وتهاويل وحقائق  
كثيرة لا تنالها إلا الأفلام النظيفة  
وإن في الأدب الحق صوفية تهم إدامة النظر إلى « الفنان  
الأعظم » الذي « إليه يصمد للكلام الطيب »  
(القاهرة) عبد المنعم منوف

## منتخبات من بلاغة الغرب

الجزء الأول

### للأستاذ محمد كامل حجاج

... حبك دفاعاً مع العظة التي أتيتك في كوخك وأهاجت عليك  
الساء وما حوت والأرض وما وعت ، حتى اغبر وجه الكون عليك  
أسفا وأظلمت الدنيا حفاذاً . فاختضع أيها الفريق للفتضاء واستسلم لهذا  
البحر الجبار المتيد  
وهذه السائل العانية التي أوشكت أن تتوش أركان مأواك ، وهذا  
الروابل التي كاد يحرف ذراك ، وذلك النياح التي تهلع لها القلوب ،  
تبذل الوسع لحوك وفنائك . وهذا الليل ، القيل بالويل ، التي ترتد  
منه رعباً سيصب فوق رأسك الأعاصير الموح مع الظلمات ، فاجع  
أعضاءك والنسق بالأرض ومأطى رأسك لما يهب فوقها من العلي  
دون أنت تسائل السماء الفتنة عن السب ، ودع الملاك يسيل فوق  
أعضائك التي تتلجت من المول ، إذ لا قوة لك ولا حول

فيكتور هرمر

فضائلها وأمراضها سلامتها | بالضيعة الروس إذا ما تحكمت فيها  
الأقدام والأيدي والمدات |

\*\*\*

غفرانك يا قلم ! وصفحاً عن جريرة الدين يحملونك ولا يدرون  
مجدك وملكوته !

هم لا يدرون أين يمسونك ... فهم يمسونك في الأحوال  
والأدناس ويقدمون على طرفك للناس بمرأ ... وهم يتوهمونه  
زهرأ ... من تدليس معاطمهم وكيد أنوفهم واتكاس طبائهم  
إن بعض الكتاب لا يمسونك إلا في دماء قلوبهم ولا  
يصدرون بك إلا عن وحى الحق والواجب والمجد والجمال الأسيل  
فهم لا يكتبون ليملؤا صحائف بمداد أسود وكفى ... فمل الدين  
يمتلون به عن أنفسهم التي تمس الحقايرة وتنطليها بالشهرة وتريد  
أن تقول حتى للحمير والكلاب والأحجار : هاأنذا . هاأنذا  
أديب كبير أيتها الأحجار والحير ! ولكنهم يكتبون فاهمين حرمة  
القلم الذي أقسم به الإله ... وقاهمين أنه هو الذي غير تاريخ  
البشرية وجعلها تسير نحو مجدها وتسجل خطواتها ، فليس لأحد  
أن يستعمله إلا في مطالب الشرف

ولو درى بعض الأدباء أى جناية يجنونها على الخلق والشرف  
والجمال في نفوس الشباب لحطموها أقلامهم واستبدلوا بها الفئوس  
أو المكائس ... فإن في استعمال الفأس أو المكينة معنى سامياً  
في خدمة الإنسانية من وجوه ...

إن بعض الأدباء أفلسوا في أن يقدموا للإنسانية معنى رفيعاً  
أو شعاعاً يهديها ... فانما يفعلون ليشتهروا ؟ لا شيء إلا أن  
يقدموا لها معنى يخفضها ... على مذهب القائل :

\*\*\*

وشهد الله أننا ما نكتب لشهوة الكلام ، ولا لرؤية الصحف  
المسودة ... ولا ليقال عنا إننا كذا وكذا ... وإنما نكتب حين  
نشعر أن دننا يسير إلى أفلاننا ويرعش بنا أننا نترسم به صوراً ... !  
ليس بنا فتنة الحديث إلى أحد ... وإنما نتحدث إلى أشياء  
أخرى لا يراها الناس ... نتحدث إلى طبقة « أرستقراطية »